

المناهج التعليمية في المرحلتين (الأساسي والثانوي) في الجزائر

د. أحمد شامية.

أستاذ محاضر بالمدرسة العليا للآداب

والعلوم الإنسانية بالجزائر

بداية لابد لي من الإشارة إلى أن مثل هذا الموضوع من الصعب جدا-إن لم يكن من المستحيل- الحديث عنه وإيفاؤه حقه، بعرض عناصره ومناقشتها وتحليلها في صفحات معدودة أو محدودة في مقال كهذا.

وقد حاولت -جاهدا- أن أوفق بين الإيفاء بالغرض، والالتزام بحدود المساحة المتاحة من الزمن، أو الحجم الذي يقتضيه المقام، وأخشى أن لا يكون التوفيق قد حالفني في بلوغ القصد، لذا ألتمس العذر إن اقتضرت على وقفات محدودة، واكتفيت بأمثلة ونماذج رجحت أن تكون ملائمة ومجدية في تقديم ما يفيد في موضوع متسع الأبعاد عميق الغور.

المناهج التعليمية في الجزائر، كيف وضعت؟ وما هي مرجعيتها؟ وماهي الأهداف القريبة والبعيدة التي يؤمل تحقيقها؟ هل المناهج التعليمية هي الوسيلة الأولى لتحقيق أهداف الأمة في شد بنائها في إطار قيمها الثقافية والحضارية، ووفق تطلعاتها المستقبلية في التطور والنمو وتبوءها المكانة اللائقة في هذا العالم المتسارع الخطى في كل الاتجاهات؟.

تعد المناهج التعليمية بحق من أهم الوسائل والأسس التي تعتمد عليها الأمم في تكوين المواطن الإنسان وإعداده، إذ ليس الإنسان ذلك الأبيض، الأسود، الطويل، القصير، إنه فعلا تلك الشخصية غير المشخصة التي تكونت بما تغذت به من فكر وعلم ومفاهيم،



المناهج التعليمية في المرحلتين

وما هي عليه من سلوكات نمت وتأصلت بما تلقته من تربية وتعليم، وتوجيه مباشر ومنظم في المدرسة، أو غير مباشر في الأسرة والمجتمع.

كانت غاية المناهج -سابقا- إعداد المواطن السوي الصالح، وكثيرا ما كانت النظرة التقليدية تحدد هذه الصلاحية بالتفاعل الإيجابي في إطار الحياة الوطنية وفق معايير خاصة بأهداف الأمة وقيمها ومقوماتها، لكن في هذا العصر، عصر العولمة والانترنت واختراق الفضاء، فإن الحلبة قد اتسعت ولم يعد هناك لاعبون ونظارة، لقد سقطت الحواجز والأسوار أو كادت، وصار من المحتم على الجميع أن يكونوا لاعبين، أو منسحبين أو أن تطاهم الأقدام إن لم يتقنوا فن اللعبة، ومن هنا كان لابد من إعداد جديد ومناهج جديدة تأخذ بعين الاعتبار هذه التحولات والتطورات السريعة والمتداخلة، دون التفریط أو التخلي عن مقومات الأصالة وثوابت الهوية، كل ذلك وفق توازنات قد تتغير من فترة إلى فترة، ومن بلد إلى آخر نظرا لمعطيات ثابتة أو متحركة لكل جماعة أو أمة، ووفق خلفيات أو أبعاد حضارية وتاريخية وبيئية.

ولوعدنا إلى المناهج التعليمية في الجزائر فلا بد لنا من القول: إن لهذا البلد العربي المغاربي المسلم، المتفتح على العالم خصوصية لما كان عليه الوضع غداة الاستقلال، وما خلفه الاستعمار الذي جثم طويلا فوق صدره، وحاول بكل الوسائل فرنسة الجزائر وانتزاعها من حقيقتها القومية والإسلامية والوطنية، لتكون فرنسية لغة وثقافة، حتى أرضا وتاريخا، لقد كان لهذه الخصوصية أثرها على العملية التعليمية والتربوية، وعلى المناهج والبرامج بشكل خاص.

فالجزائر بلد كبير في قلب المغرب العربي وينتمي إلى الحضارة العربية الإسلامية، ويطل على البحر الأبيض المتوسط، ومن ثم على أوروبا التي تعمقت علاقته بها سلبا أو إيجابا من خلال الاستعمار الفرنسي.



د. أحمد شامية

وإذا كانت المواجهة قد انتهت -ولله الحمد- بانتصار الجزائر بحضارتها وانتمائها إلى العروبة والإسلام، فإن ما خلفه الاستعمار من آثار في كل نواحي الحياة كان لا بد له من إسعافات أولية، ووصفة عاجلة لتضميد الجراح وتثبيت الأقدام وتحديد السمات الصحيح للمسار.

ومن هنا كانت المناهج الأولى، والعملية التعليمية والتربوية كلّها ذات طابع استعجالي مؤقت في ظرف استثنائي، وربما كانت تقوم أحيانا على الارتجال لسد الثغرات واستدراك الضائع من الزمن والفرص، وكانت أهدافها غالبا مرتبطة بتكوين المواطن الجزائري ليتولى مهمة إدارية أو تعليمية يسد بها الفراغ، لذا خضعت البرامج إلى إعادة النظر والتعديلات المتتالية ذات الصبغة الجهورية أو الثانوية، إلى أن كان لها نوع من الاستقرار النسبي خلال العشرية الأخيرة (1990-2000م).

وإن كانت هذه أيضا لم تخل من بعض التعديلات الطفيفة التي لم تمس جوهر الموضوعات وعناصر المنهج.

هذه المناهج خلال هذه الفترة هي التي سنحاول قراءتها وتحليلها، وإن كانت قراءة ناقصة تقف على نماذج فقط، نظرا للاتساع والتشعب، كما كنا قد أسلفنا، ومن خلال زاوية محددة هي لمدى استجابة هذه المناهج وتفاعلاتها مع الثقافات الإسلامية والعالمية). وإذا كان تركيزنا على بعض المواد دون غيرها فلأنها أكثر إظهارا لعناصر الثقافة من غيرها كالعلوم الإنسانية مثلا.

إذا فالكلمات الجهورية هي: الجزائر، المناهج، الثقافة الإسلامية، الثقافة العالمية. وإذا كان للجزائر خصوصيتها -كما ذكرنا- فإلى أي مدى ارتبطت المناهج وعبرت عن هذه الخصوصية؟ وإلى أي مدى ارتبطت بالأبعاد العربية والإسلامية والعالمية؟ وهل استطاع واضعو المناهج بناءها وفق أسس علمية وموضوعية، ووفق دراسات علمية منهجية أم أن الظروف والملابسات والعوامل السياسية والاجتماعية لعبت دورها في جعل



المناهج التعليمية في المرحلتين

هذه المناهج تعتمد في كثير من الأحيان على الاقتباس والتقليد وشئ من الارتجال؟ ثم ما هي المرجعية في إعداد هذه المناهج؟.

للإجابة عن هذه الأسئلة أو التساؤلات يمكن الاعتماد إلى حدّ ما على المصادر الرسمية للسلطة الوصية، (وزارة التربية الوطنية)، وهي الإدارة المركزية المسؤولة عن إعداد المناهج، وذلك من خلال النشرات الإعلامية، ومقدمات المناهج والكتب المدرسية، ولنستقرئ بعضاً من هذه المقدمات والنشرات.

فتحت عنوان "المرجعية في إعداد المناهج" جاء ما يلي: "فالأسئلة المطروحة هي: كيف يمكن للتربية والتعليم أن تضمن تقدّم المجتمع عندنا وعدم تخلفه عن ركب الحضارة؟ كيف يمكن مسايرة الاتجاهات العالمية المعاصرة؟ كيف يمكن تأصيل قيمنا والفتيح على الثقافات الجديدة وإيجاد تفاعل إيجابي بين هذه وتلك؟ كيف يساهم التعليم عندنا في تعليم الأفراد؟ كيف يعلمون أنفسهم؟ وكيف يكتسبون القدرة على التعلم الدائم المستمر في عصر يتميز بالتغير السريع والانفتاح الإعلامي والثقافي؟"⁽¹⁾.

في هذه المرجعية إشارة واضحة إلى ما نبحث عنه: تأصيل قيم المجتمع والفتيح على الثقافات الجديدة، وما قيم المجتمع الأصيلة إلا تلك المتأصلة في الثقافة العربية الإسلامية.

ولنقرأ أيضاً ما ورد في مناهج اللغة والآداب العربية للسنوات الأولى والثانية والثالثة الثانوية⁽²⁾.

"إن التطورات المستمرة والسريعة للقضايا التربوية تفرض على المناهج التعليمية مواكبة المستجدات حتى لا يكون مآلها الجمود.

ولا شك أن تنصيب الشعب الجديدة في إطار إعادة هيكلة التعليم الثانوي ابتداء من الدخول المدرسي 1992-1993م يتيح فرصة لإدخال تحسينات على برامجنا وتجديدها، وفي هذه العملية الأولى التي لم تمس المحتويات بصفة أساسية أعطيت



د. أحمد شامية

أهمية كبرى للأهداف التربوية وللمهارات والقدرات والتنسيق بين المواد، خاصة بالنسبة للمواد المتقاربة.

كما أننا أولينا أهمية كبرى للمنهجية ولبعد التقويم، وذلك بمنظور متكامل للطور كله تمهيدا لمراجعة جذرية وكلية للبرامج التعليمية من السنة الأولى أساسي إلى السنة الثالثة ثانوي".

ومما جاء -على سبيل المثال- في الأهداف العامة لشعب العلوم الإنسانية(3):
دعم مكتسبات المتعلم اللغوية.

تمكينه من اكتشاف الرصيد اللغوي والأدبي وعظمة الإنجاز الحضاري الذي حققته الأمة عبر التاريخ، قصد ترسيخ الانتماء والأصالة في شخصيته.
تزويده بالقدر الكافي من الثقافة الأدبية العامة التي تمكنه من الإبداع والتعمق في الدراسات العليا.

هذه الأهداف لا تكاد تختلف في جوهرها عما جاء في مناهج اللغة العربية في التعليم الثانوي العام سنة 1995، فمن الأهداف التي جاءت فيه(4):

- تمتين الصلة بتراث الأمة الفكري واللغوي والأدبي، والاعتزاز بعظمة إنجازها الحضاري عبر التاريخ وترسيخ روح الانتماء والأصالة.

وكان قد أكد جوهر هذه الأهداف منهاج اللغة العربية الصادر عام 1990م حيث كان من الأهداف العامة(5):

- تثقيف التلميذ ثقافة نابضة بالقيم العربية الإسلامية، عميقة في إحساسها بالإنسان، صادقة في تعبيرها عنه.



المناهج التعليمية في المرحلتين

- جعل التلميذ يلم إماما عاما بالأحوال العالمية والمنظمات والمؤسسات الدولية، والتيارات الفكرية المعاصرة، وعلاقة وطنه بهذه الأمور، ويدرك أهمية هذا الوطن في المعترك الدولي.
- وفي برنامج شعبة العلوم الإسلامية - كذلك - من الأهداف العامة⁽⁶⁾:
- تكوين مواطن متشبع بعقيدته، ومتفقه في دينه، متفتح على شؤون عصره، حامل عبء رسالة الإسلام ويثها.
- وفي مقدمة برنامج الفلسفة للمرحلة الثانوية، ذكرت بعض الأهداف مثل⁽⁷⁾:
- تعرف التلميذ على التراث الفلسفي الإنساني والإسلامي بخصوصياته.
- توعية التلميذ بمبادئ حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية.
- التعرف على الصراع الثقافي والإيديولوجي السائد في العالم المعاصر.
- هذا ولم تغفل مناهج المواد العلمية الأبعاد الأساسية المتمثلة في المرجعية، مع التركيز أكثر على الحضارة العالمية وأسباب التقدم العلمي والتكنولوجي نظرا لطبيعة هذه المواد، ومن أمثلة ذلك ما ورد في مقدمة مناهج العلوم الطبيعية للمرحلة الثانوية⁽⁸⁾:
- "إن العلوم الطبيعية تكون مجالاً للدراسة والتفكير يستجيب لإنشغالات واهتمامات التلميذ، فهي تتناول قضايا ملموسة لها علاقة بالحياة والبيئة، وإن إدراكه لمعناها يشعره بمسؤولياته تجاه نفسه والعالم الحي".
- وهذا ما روعي أيضا في مضامين كتاب التربية التكنولوجية للسنة الثامنة من التعليم الأساسي:
- "وقد راعينا في وضع هذا الكتاب مضامين تأخذ بعين الاعتبار الوسط الذي تعيش فيه (الخطاب للتلميذ)، وتتفق والحياة العصرية ومتطلباتها العلمية والتقنية، وما يحيط بك من ظواهر حضارية لا بد من فهمها".



ويرى واضع منهج التاريخ والجغرافيا للسنة الثالثة ثانوي في الشعب الأدبية أن العالمية من أسس ومبادئ وضع المنهج⁽⁹⁾:

"بما أن المادة تعالج أحداثا وظواهر في زمان معين ومجال جغرافي كبير أو محدد الأبعاد، فإن الإلمام بمعطيات الحدث والظاهرة أسبابا ونتائج وانعكاسات وتأثرا وتأثيرا ضمن المحيط الأكبر والعالمي الكبير مهما كان الحدث أو الظاهرة ذي مجال جغرافي وطني أو محلي محدود الرقعة والأبعاد، لأن عالمية الحدث أو الظاهرة حاليا بعيد من الأبعاد واقع معيش لا يمكن جهله ولا تجاهله بأية صورة من الصور"⁽¹⁰⁾.

هذا الإصرار الذي لمسنه من خلال قراءتنا للوثائق الرسمية للمناهج في المرحلة الثانوية، هذا الإصرار على ارتباط المناهج بالبعد الوطني والعربي والإسلامي والعالمي هو نفسه في مناهج المرحلة الابتدائية أو مرحلة التعليم الأساسي بشكل عام، مع التركيز أكثر على البعد الوطني الجزائري نظرا لطبيعة المرحلة. ففي برامج المرحلة الابتدائية هناك تركيز على التعرف على البيئة والمحيط الاجتماعي والطبيعي، مع التأكيد دائما على الشخصية الجزائرية حتى في الأسماء والألقاب، وأسماء المدن والقرى و المداشر والأسواق، وكل ذلك في إطار تعميق الحس الوطني الجزائري الذي يستشعره الدارس والملاحظ في جميع الميادين. هذه النزعة الوطنية القوية، وإن كانت عامة لدى كل الشعوب العربية وغير العربية، إلا أنها لدى الجزائري أكثر قوة بسبب ما عانته الجزائر من الاستعمار ومحاولة طمس الشخصية الوطنية بل اغتيالها.



المناهج التعليمية في المرحلتين

ولكن ذلك التركيز على المحيط الوطني الاجتماعي لا ينفي الاهتمام بالبعد العربي الإسلامي والعالمي، لأن الجزائر تنتمي بطبيعتها وثقافتها وتاريخها إلى الحضارة العربية الإسلامية، وهي ذات توجه وانفتاح على العالم، خاصة من النافذة الفرنسية التي يستطيع المواطن الجزائري العادي غالبا التعامل بلغتها، وسيظهر لنا ذلك عندما نتحدث فيما بعد عن المضامين، ولا بأس أن نستشهد هنا ببعض ما ذكر من الأهداف التعليمية لهذه المرحلة وذلك في مقدمة منهاج التعليم الأساسي للطور الأول⁽¹¹⁾.

- "تمكين الطفل من حفظ مجموعة من السور والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تغرس في نفسه الروح الدينية، وتنشئه على القيم الإسلامية، وتجعله يشعر بأنها جزء من شخصيته وقيم مجتمعه".

والآن بعد أن تبين اهتمام المناهج وتركيزها على البعدين الإسلامي والعربي، لا بد لنا أن نأتي إلى المضامين لتبين كيف تعكس هذه المضامين الثقافات الإسلامية والعالمية وتتفاعل معها.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هناك تداخلا بين مفهومي المنهاج والبرنامج، لدى الكثيرين من الذين يتعايشون مع الأوساط العلمية والتربوية، مما حدا ببعض المنظرين إلى التنبيه إلى ضرورة التفريق بين المنهاج والبرنامج الذي هو جزء من المنهج وهو يدل بشكل خاص على المضامين وجدولتها "وكثيرا ما تتداخل دلالة المصطلحين (برنامج ومنهاج) في الاستعمال، فيطلق أحدهما على الآخر انطلاقا من كونها لفظين لمدلول واحد"⁽¹²⁾.

فالمنهاج ينطلق أساسا من الأهداف المراد تحقيقها بالعملية التعليمية للمادة موظفا مضامين أو نشاطات تعليمية ومنهجية⁽¹³⁾.



والمنهاج ذو بعد شمولي يميزه عن البرنامج القاصر على المضامين والموضوعات⁽¹⁴⁾.

وقد ورد في النشرة الإعلامية (نافذة على التربية) تحت عنوان: "البرنامج والمنهاج" ما يلي: "البرنامج والمنهاج، ويجري حالياً استعمال كل منهما مكان الآخر. فتعريف البرنامج (تعريف صدر عن الهيئة اليونسكو) هو عبارة عن تحديد المواد المراد تعليمها، والساعات المخصصة لذلك، والمضامين التي تقدم في فترة من الفترات التعليم بمفهوم المعارف.

والمنهاج (حسب أحد المختصين الأمريكيين) هو مجموعة من العمليات المخططة من أجل تحديد الأهداف والمضامين والطرائق واستراتيجيات التعليم وتقييمه، والوسائل المحددة للقيام به، مثل الكتب المدرسية، والوسائل السمعية البصرية وغيرها"⁽¹⁵⁾.

ذكرنا ذلك لأن موضوعنا الأساسي هو المنهج واستقراءنا سيكون للمضامين بعد أن استقرأنا بعض أهداف المناهج والأسس التي تبنى عليها نظرياً، لكن العملية التعليمية والتربوية قد لا تحقق الأهداف والغايات، رغم تسطيرها واختيار المضامين التي قد تحققها، وبعد أن نعرض لهذه المضامين والموضوعات قد نشير إلى بعض السلبيات التي كانت عائقاً دون تحقيق الأهداف المتوخاة.

هل استجابت البرامج (المضامين) للثقافات الإسلامية والعالمية؟.

قبل الإجابة عن هذا السؤال لا بد من تحديد مفهوم الثقافة وبيان مدلول هذا المصطلح الذي يبدو أن له أكثر من دلالة ومن مفهوم أو تعريف في المعاجم وفي آراء العلماء والباحثين.

ويمكن أن نختار من التعريفات الكثيرة لكلمة "ثقافة" أقرّ بها إلى موضوعنا المتمثل في استجابة المنهاج وتفاعله مع الثقافات الإسلامية والعالمية.



المناهج التعليمية في المرحلتين

لغويا جاء في لسان العرب لابن المنصور: "ثقف الشيء ثقفا وثقافا وثقوفه حذقه، وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا فطنا"⁽¹⁶⁾، فالمعنى اللغوي هو الحذق والمهارة في انتقال الشيء.

أما التعريف العلمية الحديثة للثقافة فيمكنه أن نختار منها-وهي كثيرة- ما صدر عن المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية بإشراف اليونسكو المنعقد بمكسيكو (06 جويلية إلى 06 أوت 1982م)، ونصه ما يلي:

"إن الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنها جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعنا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات.

وإن الثقافة هي التي تمنح للإنسان قدرته على التفكير في ذاته، والتي تجعل منا كائنات تتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، وعن طريقها نهتدي إلى القيم ونمارس الخيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل، وإلى إعادة النظر في إنجازاته والبحث دون توازن عن مدلولات جديدة وإبداع أعمال يتفوق فيها على نفسه"⁽¹⁷⁾.

وإذا كانت الثقافة خاصية إنسانية تفصل الإنسان عن غيره من المخلوقات، فإن لكل مجموعة إنسانية، ولكل أمة دأثرتها الثقافية التي تميزها عن غيرها (بعقائدها، وعاداتها، وتقاليدها، وأعرافها، وسلوكاتها) وتتقاطع هذه الدوائر الثقافية الخاصة مع دائرة الثقافة الإنسانية والعالمية الكبيرة.



د. أحمد شامية

وإن الشخصية الفردية والاجتماعية لأبناء الأمة تنمو وتتحدد بالثقافة التي ولدوا فيها⁽¹⁸⁾.

والآن ماذا عن البرامج والمضامين؟ ماذا عن الثقافة الإسلامية والعالمية في هذه المضامين حسب المفاهيم التي أوردناها؟.

لنبداً بالمحاور والعناوين، معتمدين على الأمثلة والعينات.

في كتاب القراءة للسنة الرابعة من التعليم الأساسي نجد عناوين مثل:

دعاء طفل، الجارة الكريمة: (كانت عائشة وسعدية جارتين متحابتين)، النخلة وشجرة البرتقال، الفيضان، الثلج، الإنسان سيد المخلوقات، التلفاز الجديد، رسالة من تمرست⁽¹⁹⁾، وسائل السفر، من أجل فلسطين، المهرجان الثقافي، الحرفة تنفع صاحبها، حادث مرور، يوم العيد، شرف العمل، عدل المأمون، الاسكيمو، اليابانيون، عمر والعجوز، مهاجر يعود إلى وطنه، توسيع مسجد.

فالعناوين نفسها تظهر ذلك التفاعل والاتباط الذي لا مناص منه بين الجزائر والعالم العربي: "إن وطننا العربي واسع جداً، وكل الذين يعيشون فيه اخوة"⁽²⁰⁾.

وبين الجزائر والعالم الإسلامي: يوم العيد الناس فرحون بهذا العيد السعيد، ويقصدون المساجد منذ الصباح الباكر، ويهللون ويكبرون قائلين: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"⁽²¹⁾. ثم: عدل مأمون "وكان الخليفة المأمون مشهوراً بالعدل، وقد خصص مجلساً للحكم بين المتخاصمين"⁽²²⁾. وكذلك (عمر والعجوز).

ومن مظاهر الانفتاح على الثقافة العالمية موضوع (الاسكيمو): هل تعرف من هم الاسكيمو؟ إنهم قوم يعيشون في بلاد بعيدة جداً، وباردة جداً، أرضها مغطاة بطبقة



المناهج التعليمية في المرحلتين

سميكة من الجليد، ويسكنون في منازل مبنية بقوالب من الجليد (23). ومثل ذلك موضوع (اليابانيون).

وفي كتاب القراءة للسنة السادسة من التعليم الأساسي⁽²⁴⁾ نجد المواضيع التالية:
مع المجاهدة الصغيرة، نشيد الفتاة الجزائرية للأخضر السائحي، نظام العسة في أيام الثورة، كيف تكوّن النفط، الشعب الجزائري: "إن الشعب الجزائري مرتبط بالوطن العربي، وهو جزء لا يتجزأ منه ولا ينفصم عنه، إن الشعب الجزائري شعب مسلم، وإن الإسلام دين الدولة هو أحد المقومات الأساسية لشخصيتنا التاريخية"⁽²⁵⁾.

ثم "ينبوع الرحمة والحنان" (من سيرة النبي ﷺ)، حي بني يقظان، أندونيسيا أكبر بلد إسلامي، الأندلس الإسلامية، ثم: "في حمام حلوان" (من المقامة الحلوانية للهمداني)، الناس سواسية (حوار مسرحي في شأن المخزومية التي سرقت).

ولا يختلف الأمر كثيرا في الطور الثالث من التعليم الأساسي (المرحلة الإعدادية) فبالإضافة إلى التركيز على الذات الجزائرية نجد توسعا في الانفتاح على الثقافات الإسلامية والعالية ونهلا من معينها، ففي كتاب النصوص والمطالعة العربية للسنة التاسعة من التعليم الأساسي نجد عناوين مثل:

كلنا للوطن، رجل يتحدى دولة، "حول الأمير عبد القادر وكفاحه"، الظل (للكتاب الجزائري أبو العيد دودو، حول المغامرات البطولية التي عاشها مناضلو جبهة التحرير الوطني)، بكاء طفل (لمي زيادة)، الإنسان عامل قوة وتطور، إثارة امرأة عربية: "كان عبد الله بن عباس من أجواد العرب، وكان منصرفا من الشام إلى الحجاز، فنزل منزلا في



د. أحمد شامية

الطريق، وطلب من غلمانه طعاما فلم يجدوا، فقال لو كيله: اذهب في هذه البرية فلعلك تجد راعيا عنده لبن أو طعام، فمضى الغلمان حتى رأوا عجوزا في حي...⁽²⁶⁾.

ثم نجد عناوين مثل: البخيل والسائل (وهو مأخوذ عن الجاحظ)، ورمونا بالوهن للبشير الإبراهيمي: (ثم عمدوا إلى الشباب فرموه بهذه التهاويل من الحضارة الغربية، وبهذه التعاليم التي تأتي بنيانه الفكري والعقلي من القواعد، وتحرف المسلم عن قبلته وتحوله إلى الغرب)⁽²⁷⁾.

وكذلك نجد ورقة من غزة (لغسان كنفاني)، رسالة إلى غزاة لا يقرأون (لسميح القاسم)، أطفال الحجارة (لنزار قباني)، وكلها تعبّر عن المقاومة الفلسطينية وتصور جرائم الصهيونية في حق فلسطين والإنسانية.

ومن الأدب العالمي في هذا الكتاب: نصيحة لأولادنا (لناظم حكمت)، رهان أصحاب الملايين (قصة لمارك توين ترجمة عبد الحميد بن هدوقة).

ولو صعدنا إلى المرحلة الثانوية لنسجل بعض الأمثلة نجد في مقرر السنة الأولى جذع مشترك علوم إنسانية⁽²⁸⁾ - الفصل الأول - الوحدة التعليمية رقم 09 الذي عنوانه (الثقافة والفن) نجد في النصوص الأدبية: الفنون الجميلة عند العرب (لأحمد فهمي العمروسي)، الوحدة الثقافية للمغرب العربي (لعثمان الكعاك). وفي المطالعة الموجهة نجد: البخلاء (للجاحظ)، وفي التعبير: تحرير الرسالة الإدارية والبرقية⁽²⁹⁾.

وفي الفصل الثاني من مقررات السنة الثانية - شعبة الآداب والعلوم الإنسانية⁽³⁰⁾ - الوحدة التعليمية رقم 01 (القرآن والحديث) في النصوص الأدبية نجد:



المناهج التعليمية في المرحلتين

الآيات من (100 إلى 195) من سورة آل عمران، ثم حديث السفينة وفي المطالعة الموجهة هناك: امتزاج الثقافات في العصر العباسي الثاني.

وفي الوحدة رقم 03 (الدين والأخلاق) نجد في النصوص الأدبية: الإسلام دين القوة (لأحمد حسن الزيات) والمراقبة (للدكتور أحمد الشرباصي)، وفي المطالعة الموجهة: رواية زينب (لمحمد حسين هيكل).

ومن الفصل الرابع⁽³¹⁾ لمقررات السنة الثانية -شعبة الآداب والعلوم الشرعية- الوحدة التعليمية رقم 02 (النثر القصصي) نجد في دراسة النص: أمراء للبيع (لمصطفى صادق الرافعي)، وحمار الحكيم، والزواج (لأحمد رضا حوحو)، وفي المطالعة الموجهة: سيف إفريقي (لمحمد ديب).

ومن النصوص الفلسفية -السنة الثالثة من التعليم الثانوي⁽³²⁾: نص للشهر ستاني (من كتاب الملل والنحل) والموضوع حول الجبر والاختيار وهو من القضايا الإسلامية التي ثار حولها الجدل عند المتكلمين، ونص آخر لرالف لنتون من كتابه (الأساس الثقافي للشخصية) وهو عالم انترولوجي أمريكي توفي سنة 1953م.

وأخيرا بعد هذه النظرة السريعة، والقراءة التي لا بد من وصفها بأنها انتقائية وغير شاملة للمناهج والبرامج التعليمية في الجزائر في المرحلتين (الأساسية والثانوية) فما هي النتائج التي يمكن أن نسجلها؟ وأين هي ضالتنا التي نبحث عنها؟ هل استجابت المناهج للثقافات الإسلامية والعالمية وتفاعلت معها؟



د. أحمد شامية

مبدئياً من خلال ما خطط وما أدرج من مضامين يمكن الإجابة بنعم، ولكن هل تحققت الأهداف والغايات المرجوة؟ وقد مر معنا أن من عناصر المنهاج والأسس التي بني عليها ارتباطه بالأهداف وتحقيقه للغايات.

وفي الواقع هناك شكوى دائمة وعلى جميع المستويات من تدني المستوى التعليمي، والانغلاق على الذات، والاقتصار على تخريج الموظفين الإداريين دون العلماء والمثقفين.

فأين يكمن الداء؟ وما هو الدواء؟

إذا استثنينا ظروف الجزائر الخاصة، وبعض المعوقات، وعناصر التشويش التي لا يخلو منها مشروع من المشاريع فيبدو أن الأسباب التي تحول دون تحقيق النتائج المرجوة تتمثل في غياب استراتيجية مبنية على أسس وأصول قاعدية تعتمد على الأبعاد والمقومات والقيم الأساسية للأمة في امتدادها الحضاري، وهي قابلة للتطور لمواءمة العصرنة والتحولات الوطنية والقومية والعالمية.

ويبدو أن الظروف لم تتح -رغم الجهود المبذولة- لاعتماد مثل هذه الاستراتيجية، فظلت البرامج تعتمد على الاقتباس والنقل والتجريب، وربما كان هذا حال الكثير من الدول العربية بنسب متفاوتة.

(فمن مهام المناهج المدرسية أن تقوم بمهمة تنمية الوعي لدى الأفراد بحيث يشمل الوعي أهداف الإسلام التي يعملون على تحقيقها في واقع الحياة، وبحيث تكون الأهداف الإسلامية، والوسائل جزءاً أساسياً في التربية والتعليم، وجزءاً من التركيب



المناهج التعليمية في المرحلتين

العاطفي والوجداني والعقلي والإرادي للفرد المسلم، وكذلك تنمية الوعي بالإمكانات المادية للأمة وظروفها وأحوالها⁽³³⁾.

إذا لا يكفي أن نختار موضوعات ومضامين ونسطر أهدافاً، فلا بد من الاعتماد على الوعي ضمن استراتيجية متكاملة، (المناهج الحالية تعمل على تنمية الوعي عن طريق دراسة موضوعات سياسية وتاريخية وجغرافية تتعلق بمفهوم الوطن المحدود، كما أنها تعمل على دراسة بعض المشكلات التي يعاني منها المجتمع، ولكنه وعي سلبي لأنه يعتمد على ترديد بعض الشعارات فقط، وحفظ بعض المعلومات)⁽³⁴⁾.

فإذا كان التعليم لا يضع نصب عينيه في كل خطوة وكل جزئية ترسيخ أهداف الأمة في إطار الاستراتيجية العامة، فإنه لن يصل إلى هذه الأهداف، ولن تخرج المدارس بعد ذلك إلا أصحاب الإمضاءات الجميلة، والشكليات الوظيفية.

(نجد التعليم بعيداً عن أهدافه في ترسيخ عقيدة الأمة وتوظيفها في الحياة وتزويد الطلاب بالمعرفة المتطورة والمفاهيم المتجددة، والمهارات العقلية والبدنية التي تيسر لهم مطالب الحياة، والقدرة على الاستفادة من المعطيات الحضارية والعلمية)⁽³⁵⁾.

فالتعليم -حسب رأي المؤلف- الذي لا يحقق هذه الأهداف قد يكون ضرره أكثر من نفعه: إن التعليم الذي لا يخرج إلا أصحاب الإمضاءات الجميلة والشكليات الوظيفية والمعرفة القليلة لهو تعليم ضرره أكثر من نفعه، لأنه ليس من مهام التعليم إعداد أناس يحملون قدراً معيناً من التعليم بقدر ما هو إعداد الإنسان القادر على أن يتعلم باستمرار.



د. أحمد شامية

وكذلك إعداد الشخص القادر على تكييف أوضاعه تبعاً لتغير الظروف، والقادر على إثراء الحياة، والتأثير فيما حوله بما يناسب رسالته في الحياة وخلافته في الأرض⁽³⁶⁾. وقد تكمن المشكلة أحياناً في ترجمة بعض الأهداف عن الأمم الأخرى التي تختلف عنا مرجعية وأسلوباً في حياتها: "إن المشكلة أننا نترجم ما كتب الغرب من أهداف ونجعلها أهدافاً تعليمية لمجتمعنا مع أنهم يفصلون هذه المبادئ هناك، لأن الدين عندهم انفصل عن الحياة والتأثير فيها، وفي توجيه الدراسات اليومية عندهم، بينما يعتبر ديننا هذه المبادئ من مكونات الشخصية يشب عليها الفرد في المنزل ويعززها التعليم وعياً وإدراكاً"⁽³⁷⁾.

على أية حال لقد بذلت الجهود، وسخرت الإمكانيات، ووضعت المناهج على أسس نظرية سليمة من حيث المضامين الغنية والمتنوعة، ومن حيث الشمولية والبناء، وقد سلك المنهج مبدأ الأولوية والانتقال من السهل إلى الصعب، ومن المعروف إلى المجهول، والتدرج الخطي، والتمركز والحلزوني.

لقد بني المنهج على قواعد تعد قواسم مشتركة للاتجاهات الوطنية، والعربية والقومية، والعالمية والانسانية، بحيث تجعل التلميذ يلم بأحداث وطنه وتاريخه، وعاداته وتقاليده، وما يطمح إليه في معركة البناء والتشييد، ومن ثم ينتقل به إلى وطنه الأكبر العالم العربي والإسلامي الذي هو جزء لا يتجزأ منه، بعدها توسع مداركه بفتح منافذ على العالم الإنساني والكوني الأكبر الذي ينبغي أن يكون فعالاً فيه بإسهاماته كما فعل آباؤه من قبل.

وإذا كانت هناك بعض الجوانب السلبية فيمكن أن نذكر منها:



المناهج التعليمية في المرحلتين

- 1- الافتقار إلى الاستراتيجية العامة كما قد بينا.
 - 2- عدم الاهتمام الكافي بتكوين النشء وتسليحه بالمفاهيم السياسية (ولا نعني بذلك التسييس)، ولكن الفهم السياسي والاجتماعي والأخلاقي لمفاهيم مثل: الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والعولمة بما لها وما عليها.
 - 3- تفتقر المناهج إلى كثير من المفاهيم العالمية الحديثة حول الفضاء والإنترنت، والتكوين في اللغات الحية رغم ما للغة الفرنسية من مكان ومكانة.
 - 4- تفتقر المناهج إلى مداخل للثقافة المفتوحة، فهي تعد المتعلمين والموظفين، ولكنها لا تعد المثقفين المتفتحين على الثقافة.
 - 5- كثيرا ما يطغى الأسلوب العاطفي بعيدا عن العقلانية لا سيما في العلوم الإنسانية، ولا بأس أن نستشهد هنا بما جاء في كتاب (أسلمة العلوم المدرسية): (إن خاصية التفكير والنطق هي جوهر الطبيعة للإنسانية، فإن الهدف الرئيسي من المناهج يجب أن ينصب على الناحية العقلية وتربية العقل حيث هي غاية في حد ذاتها)⁽³⁸⁾.
- وأملنا أن تتواصل الجهود لتلافي كل عوامل النقص والسلبيات والوصول إلى أفضل النتائج وتحقيق أسمى الأهداف.

الهوامش

- 1- نافذة على التربية- نشرة إعلامية شهرية يصدرها المركز الوطني للوثائق التربوية التابع لوزارة التربية الوطنية. الجزائر. 09 ديسمبر. 1998
- 2- صادر عن مديرية برامج التعليم الأساسي والثانوي لوزارة التربية الوطنية. الجزائر. ماي (أيار) 1993م.



- 3- المصدر السابق (المنهاج). ص. 12
- 4- منهاج اللغة العربية وآدابها في التعليم الثانوي العام. صدر عن مديرية التعليم الثانوي العام بوزارة التربية. جوان 1995. ص. 11
- 5- برنامج اللغة العربية. ديسمبر 1990. ص. 14-15
- 6- برنامج العلوم الإسلامية. السنة الأولى ثانوي. ديسمبر 1990. ص. 07
- 7- برنامج الفلسفة. مديرية التعليم الثانوي بوزارة التربية. 1995. ص. 04
- 8- صادر عن مديرية التعليم الثانوي. 1995. ص. 05
- 9- صادر مديرية التعليم الأساسي والثانوي. ماي 1993. ص. 11
- 10- نقلنا النص من مصدره كما هو ويبدو أن هناك اضطرابا في الصياغة.
- 11- الصادرة عن مديرية التعليم الأساسي بوزارة التربية الوطنية. 1996. ص. 07
- 12- منهاج اللغة العربية وآدابها. 1995
- 13- برنامج التاريخ والجغرافيا للسنة الثالثة ثانوي. الشعبة الأدبية. 1993
- 14- المصدر نفسه. ص. 05
- 15- النشرة الإعلامية. ص. 03
- 16- لسان العرب لابن منظور. مادة ثقف.
- 17- عن كتاب (هذه هي الثقافة) لـ د. أحمد بن نعمان، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع. ط1. الجزائر 1996. ص. 23
- 18- الأصول التربوية في بناء المناهج. د. حسين سليمان قورة. دار المعارف. ط8. القاهرة 1985. ص. 62
- 19- مدينة في جنوب الجزائر.
- 20- كتاب القراءة السنة الرابعة. ص. 136
- 21- كتاب القراءة السنة الرابعة-. ص. 174
- 22- كتاب القراءة السنة الرابعة. ص. 202



المناهج التعليمية في المرحلتين

- 23- كتاب القراءة السنة الرابعة. ص. 206
- 24- صادر عن المعهد التربوي. سنة 1999-2000
- 25- كتاب القراءة. ص. 102
- 26- النصوص والمطالعة العربية. السنة التاسعة. ص. 90
- 27- النصوص والمطالعة العربية. السنة التاسعة. ص. 129
- 28- ينظر المنهاج. ص. 12
- 29- ينظر المنهاج. ص. 81
- 30- ينظر المنهاج. ص. 84
- 31- ينظر المنهاج. ص. 93
- 32- برنامج نصوص فلسفية. السنة الثالثة ثانوي. ماي 1993م.
- 33- عباس محجوب. نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم. مؤسسة علوم القرآن عمان،
ودار ابن كثير - دمشق. بيروت. ط1. 1978م. ص. 31
- 34- المرجع نفسه. والصفحة نفسها.
- 35- المرجع نفسه. ص. 160
- 36- المرجع نفسه. ص. 167
- 37- المرجع نفسه. ص. 172
- 38- حمدي أبو الفتوح عطيفة. الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. ط1. المنصورة. 1986م.

